تحـدي الثقافة وثقافة التحدي في شعر الفروسية
عنترة بن شداد أنموذجا

إعداد

د. أمل محمد علي أحمد

الملخص:

عنترة العبسي شاعر تحدى ثقافة مجتمع بأكمله، شاعرا وعاشقا وكيانا إنسانيا شجاعا، فكشف عن لون جديد من ثقافة التحدي، فقد رصد حال، وترجم لآلام حرمان وأوجاع عبوديته المفروضة دون وجه حق، تلك العبودية التي صارعها بشاعريته وصرعها بفتوته وشجاعته وجلده، أوقف شعره في وجه تلك القيم لا لإرساء دعائمها وتوطيدها، بل لتأكيد وجوده وكيانه واستحقاق الإجلال والتقدير من لدن الجميع طواعية وعنوة، فأتى شعره يمثل صورة من صور الوعي في مجتمع جاهلي قبلي ألف الهيمنة وكبح جماح كل من حرم السيادة ومني بالحرمان والعبودية، وهذا ما أكده البحث نصوصا تحليلية متفردة.

Summary:

Antara Al-Abs was a poet, a lover, and a brave warrior who defied the rigid norms of his society. He introduced a new culture of resistance and self-assertion through his poetry. Born into a life of deprivation and unjust slavery, Antara confronted his reality with resilience, courage, and the power of words. His poetry became a tool to fight oppression, not merely to challenge existing values, but to assert his identity, demand recognition, and claim the respect and honor he deserved—whether willingly given or forcefully earned.

In a pre-Islamic tribal society built on domination and exclusion, where sovereignty was denied to the oppressed and enslaved, Antara's poetry stood as a bold declaration of awareness and defiance. His life and works have been studied through unique analytical texts that highlight his role as a pioneer of personal freedom and dignity in an age dominated by social hierarchy and subjugation.

المقدمـة:

ملأ "عنترة بن شداد" الدنيا وشغل الناس شعرا وكيانا إنسانيا؛ فهو الشاعر الفحل الذي لا يبارى شاعر وهو الفارس المغوار الذي لا يشق له غبار، وهو العاشق الولهان الذي ذاق حلاوة العشق ولاك مرارة الحرمان، متحديا ثقافة مجتمع وتقاليده المفروضة التي لا تقر إلا بالخواء وحتمية الانتهاء، لكنهم يقدرون وتضحك الأقدار فهو الباقي بفروسية الخالد بشاعرية، تقسو الحياة علي فتسلب النسب والحسب والسؤدد والجاه، لكنها الذات التي تنطوي على العناد والتجدد والتجلد، تقر بحتمية الوجود على كافة الأصعدة والمستويات اجتماعيا وفكريا وإنسانيا وسياسيا يهدف البحث إلى دراسة ثقافة التحدي وتحدي الثقافة في شعر عنترة دراسة تحليلية تكشف جدليات ثقافية المجتمع العربي في تلك الحقبة الزمنية والتي خلفت آثارها حتى الآن، ولم تقتصر الدراسة على كشف الذات الشجاعة العاشقة بمفهومها المجرد، بل تجاوزت وتوجهت صوب الرمز والدلالات المستبطنة في قصائده وأغراض، سواء المقترنة بالفروسية ـ التي لا تعني عدم الخوف، بل إدراك الهدف في حضور كل مكامن الخوف وبواعث ـ أو المقترنة بالعشق العذري في عصر تكشفت في الغزليات وفحشت في النظرة لمفاتن المرأة صراحة وبلا استثناء.

وينفسح المجال لتصارع الواقع والخيال زمانيا ومكانيا ليقرا بصرفية العذرية وتمكين الأنفة والإباء في زمن تحتم في إقرار عبودية الذوات العنيدة الصلدة المصارعة للتحديات، فتتغير مجرى ثقافية هذا المجتمع وإن اقترن انتصارها بالهلاك ولم يكن مقدورا، فكان النقيض هو المحتوم، وكان البقاء للذات المنتصرة مقرونا بالأنفة وممخضا نوعين من الانتصار: ـ انتصار الذات وإقرار الكينونة لهذا الكيان المرفوض.

أهمية الدراسة:

ـ دحض الأعراف المجتمعية المقرة بالتردي والسلب وكبت الملكات الفطرية.

ـ تأكيد اقتدار الشعر الجاهلي على تحدي الثقافة المجتمعية.

ـ احياء جمالية الدلالات الرامزة في عشق عنترة العذري رغم عموم فحش غزليات عصره.

ـ اعتماد الشعر الجاهلي معينا لا ينضب في إثراء الدراسات الأدبية على مدار الأمكنة واختلاف الأزمنة.

ـ تأكيد شرفية العشق والانتصار على الآخر الحائل دون الآمال مقترنة بالنوال المحتوم.

ـ تأكيد مرونة الشعر الجاهلي وتناغم مع المناهج المتباينة والدراسات الحديثة.

ـ دعم روابط التواصل بين القديم والحديث من خلال النماذج الشاعرة المتفردة.

ـ إحياء روح التحدي السوسيو ثقافي الهادف شكلا ومضمونا شعرا وكيانا إنسانيا.

فصـــول البحث:

التمهيد: عنترة الإنسان الشاعر، ثقافة المجتمع الجاهلي.

الفصل الأول: ثقافة التحدي بين عذرية العشق وإضمار التجلد.

الفصل الثاني: ثقافة التحدي بين عذرية العشق وإظهار التودد.

الفصل الثالث: تحدي الثقافة (انكسار العبودية بين جرأة القلب وانتصارية الحرب).

الكلمات المفتاحية: ـ ثقافة التحدي، تحدي الثقافة.

منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي، حتى يتسنى كشف الجوانب المتعددة المتعلقة بمجال الدراسة.

مشكلة البحث:

ـ التداخل الدلالي والنصي بين تحدي الثقافة وثقافة التحدي.

الدراسات السابقة: .

- الأعراف الاجتماعية في الشعر الجاهلي (عنترة بن شداد أنموذجا) هدى قسم الله مصطفى، مجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، مجلد ٥ديسمبر ٢٠١٩م

- دراسة في الثقافة والتراث والهوية، شريف كناعنة، تحقيق مصلح كناعنة المؤسسة الفلسطينية، فلسطين ٢٠١١م، ط٢.

- دراسة فنية في شعر عنترة بن شداد، د حافظ محمد بادشاه، الجامعة الوطنية، مجلة القسم العربي العدد الثامن عشر اسلام آباد ٢٠١١م، ط١.

- البطولة بين الشعر الغنائي والسيرة الشعبية) عنترة بن شداد نموذجا محمد أبو الفتوح محمد العفيفي، إيتراك للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م، ط١.

- عنترة الإنسان والأسطورة فصول في التذوق الأدبي، شكري محمد عياد، يوسف حسن خليل نوفل، ط١.

- أبو الفوارس عنترة بن شداد، محمد فريد أبو حديد، دار المعارف مصر، ط٢.

- عنترة بن شداد حياته وشعره، محمد علي الصباح، دار المعارف، مصر، ط٢.

التمهيد: .

عنترة بن شداد حياته وشعره: .

عنترة أحد نماذج الفتوة والفروسية العربية الخالدة، علم من أعلام النضال والجلد في عصر ما قبل الإسلام، نموذجا للكر والنيل عندما تستعر نيران الحروب وتحتدم المعارك، أسد الفلوات ومحقق الانتصارات الذي سطر التاريخ أمجاده بحروف خالدة تتحدث عنها الأجيال ويهفو إليها كل صنوف الفتيان والرجال.

وفي نسب عنترة روايات متعددة أبرزها أن: " عنترة بن شداد بن معاوية بن ذهل بن قراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن قطيعة بن عبس. ونستطيع أن نجعل ولادة عنترة بحدود سنة ٥٣١ م لأنه شهد بدء حرب داحس والغبراء واشترك فيها حتى نهايتها.

نشأته وفروسيته وأخلاقه:

يروى أن أباه قد وقع على أمة حبشية يقال لها زبيبة فأولدها عنترة. وكانت العرب في الجاهلية إذا كان للرجل منهم ولد من أمة استعبده، وقد ظلت عبودية عنترة هذه فترة من الزمن لأن أباه حرره بعد الكبر." والثابت أن عنترة لم ينل حريت إلا بشق النفس وبذل الجهد والتضحيات "وفي ذلك قال:

لوْ أَنْكَرَتْ فُرْسَانُ عَبْسٍ نِسْبَتِي فَسِنَانُ رُمْحِي وَالحُسَامُ يُقِرُّ لِي

كان عنترة صاحب خلق حسنة، رقيق القلب كريم النفس، ذكر المؤرخون عن أخلاقه أنه " من أكثر العرب عزّة نفس، كما اتصف بالحلم رغم مّا عُلم عمن شدّة البطش، ويمتاز الشعر عنده بالرقةّ، والعذوبة، ذلك الشعر الذي يكاد لا يخلو من ذكر حرمانه من حبيبته وابنة عمّه عبلة يقول: "[1]

ولولا حب عبلة في فؤادي مقيم ما رعيت لهم جمالا

[1]. ابن شداد، عنترة، الديوان، صـ٨، ٧

حياته ووفاته:

كان ما قال عنترة من الشعر في الحب ظاهرًا به الغزل العذري الذي يخلو من وصف الجسد، وهذا أمر طبيعي مرتبط بشخصية عنترة، والتي تميزّت بحسن الخلق، "بيد أنّ ذلك لم يمنع من الاهتمام بابنة عمّ عبلة، بل كان يحمل لها في قلب الحب، ذلك الحب الذي سيخُلدّ في تاريخ العرب، وكان زواج عنترة مقترنا بخبر انتزاع لحريت وكان الباحثون يختلفون حولها، فمنهم من يرى أن عنترة فاز بعبلة وتزوجها، ومنهم من يرى أن لم يتزوجها، وإنما ظفر بها فارس آخر من فرسان العرب"[١]

أما وفاته فقد " قيل إن عنترة خرج فهاجت رائحة من صيف وهبت نافخة فأصابت الشيخ فوجدوه ميتا بينهم، وكان عنترة قد كبر وعجز كما يبدو في الرواية. ومنها أن أغار على بني نبهان من طي فأطرد لهم طريدة وهو شيخ كبير فجعل يرتجز وهو يطردها ويقول: " آثار ظلمان بقاع مجدب ومن أخبار وفات أن غزا جريئا مع قوم فانهزمت عبس فخر عن فرس ولم يقدر من الكبر أن يعود فيركب فدخل دغلا وأبصره ربيئة طي فنزل إلي وهاب أن يأخذه أسيرا فرماه وقتل، ويزعمون أن الذي قتل يلقب بالأسد الرهيص". [٢]

ثقافة المجتمع الجاهلي: ـ

ليست الأيديولوجيا هي التمثل الذهني الوحيد الذي يشكل إطارا فكريا عاما للحركة الاجتماعية والسياسية، فهناك بنى فكرية أخرى تتداخل مع الأيديولوجيا، لكنها لا تجب أو تزيح، مثل الأفكار، النظريات، الفلسفات الثقافة المجتمعية؟ القيم المجتمعية التي تؤدي إلى الثقافة المجتمعية

[١]ـ نعيم، أنطون، ٢٠١٠م، الهائمون والمتيمون العرب: قصص وأشعار وحكايات، د.ت، لبنان: دار الكتاب العربي، صـ٦٠

[٢]ـ السابق صـ ١٠

... مما يسبب طفرة في ثقافة تلك المدن وتقبلّ القيم الحديثة والممارسات الفكرية والثقافية."[١]

معنى الثقافة لغةً واصطلاحاً :

العلاقة بين الثقافة والثقافة المجتمعية علاقة قائمة على أساس مبدأ العام والخاص، والعام في اللغة "الشامل، وأما الخاص فهو: في اللغة ما يقابل العام. والتخصيص لغةً: الإفراد." [٢] قال ابن فارس: رجل ثقف لقف، وذلك أنَّ يصيب علمًا ما يسمع على استواء"[٣]

وقال ابن السكيت: "رجل ثقف لقف إذا كان ضابطًا لما يحوي قائمًا ب ... ويقال: ثقف الشَّيء، وهو سرعة التعَّلم"[٤]

وعند ابن منظور: " ثقف: ثقف الشَّيء ثقفًا، وثقافًا، وثقوفةً: حذق، ورجل ثقف، وهو غلام لقن ثقف أي: ذو فطنة وذكاء، والمراد أنَّ ثابت المعرفة بما يحتاج إلى "[٥]

وقيل: هي الرقي في الأخلاق، أو ال سلوك، وأمثال ذلك من الا تجاهلات النظَّريةً" [11] وهي" جملة العلوم، والمعارف، والفنون التَّي يطلب الحذق بها "[٦]

[١]ويلز، هرهورة، ٢٠٠٥م، موجز تاريخ العالم، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، ط٢، دار الكتب العربية للنشر، صـ ٢٣٠

[٢]. ابن منظور، أبو الفضل، ١٤١٤هـ، لسان العرب، ط٣، بيروت: دار صادر، صـ ٤٢٦

[٣]ابن منظور، مرجع سابق، صـ / ٤٢٦.

[٤]. الأزهري الهروي، أبو منصور، ٢٠٠١م، تحقيق: محمد عوض مرعب ج ٩، تهذيب اللغة، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، صـ ٨١

[٥]. العمري، نادية، ٢٠٠١م، أضواء على الثقَّافة الإسلاميةً، ط١ مؤسسة الرسالة، صـ٩

[٦]. القوسي، مفرح ، ١٤٢٤هـ، مقدمات في الثقَّافة الإسلاميَّة، ط٣الرياض، صـ ٣٦.

الفصل الأول: ثقافة التحدي بين عذرية العشق وإضمار التجلد:

عندما يسيطر الأديب على اللغة بما يضفي عليها من ذات وروح فهو المتمكن ـ بلا نـزاع.

من الخلق الأدبي المبتكر الخلاق " فاللغة لدى الشاعر وسيلة للتعبير والخلق موسيقاه وألوان وفكره ومادة التي سوى منها كائنا ذا ملامح وسمات ". وعنترة لم يكن فارس حرب ولا متحد ثقافة مجتمع وحسب، بل تحدى بشاعرية كل ممكن وتقليد، وواكب هذا التحدي الشعري تحديا شعوريا حين لازم التصابي والحرمان فإذا عانده الواقع رغم استحقاق؛ فإن ذات أبية، وروح جلدة قوية، قادرة على خلق ثقافة التحدي لهذا المحال من خلال استقطاب بواعث التجاوز بالتجلد المضمر فنجد هذا الإضمار متجليا في قول: "[1]

سَأُضمِرُ وَجدي في فُؤادي وَأَكتُمُ ... وَأَسهَرُ لَيلـي وَالعَواذِلُ نُـوَّمُ
وَأَطمَـعُ مِن دَهري بِما لا أَناله ... وَأَلزَمُ مِنهُ ذُلَّ مَن لَيسَ يَرحُـمُ
وَأَرجو التَداني مِنكِ يا اِبنَةَ مـالك ... وَدونَ التَداني نارُ حَربٍ تَضَرَّمُ
فَمُنّي بِطَيفٍ مِن خَيالِكِ وَاِسأَلـي ... إِذا عادَ عَنّي كَيفَ باتَ المُتَـيَّمُ
وَلا تَجزَعي إِن لَجَّ قَومُكِ في دَمي ... فَما لِيَ بَعدَ الهَجرِ لَحـمٌ وَلا دَمُ
أَلَم تَسمَعي نَوحَ الحَمائِمِ في الدُجى ... فَمِن بَعضِ أَشجاني وَنَوحي تَعَلَّموا
وَلَم يَبقَ لي يا عَبلَ شَخصٌ مُعَرَّفٌ ... سِوى كَبِدٍ حَرّى تَذوبُ فَأَسـقَمُ
وَتِلكَ عِظـامٌ بالِيـاتٌ وَأَضلُـع ... على جِلدِها جَيشُ الصُدودِ مُخَيِّمُ
وَإِن عُشتُ مِن بَعدِ الفُراقِ فَما أَنا ... كَمـا أَدَّعي أَنّـي بِعَبلَةَ مُغرَمُ
وَإِن نامَ جَفني كانَ نَومي عُلالَةً ... أَقولُ لَـعَلَّ الطَيفَ يَأتي يُسَلِّـمُ
أَحِنُّ إِلى تِلكَ المَنـازِلِ كُلَّمـا ... غَدا طائِرٌ في أَيكَـةٍ يَتَــرَنَّمُ
بَكَيتُ مِنَ البَينِ المُشِتِّ وَإِنَّني ... صَبورٌ عَلى طَعنِ القَنا لَـو عَلِمتُم

[1]. عنترة، الديوان، مرجع سابق، صـ٧٤

مجال القصيدة الشعرية هو الاهتمام بالتعبير عن وقع الحقائق والأفكار في النفس البشرية، وتأثيره فيها عن طريق النظر في تأثيرها في حياة الإنسان ومصيره وسعادته أو شقائه" [1] تجلت ذات عنترة المحبة بقدر اقتداريه ذات الفارسة، وذلك من خلال تفردها في إضمار الحرمان والتوجع عبر التطلع أو التصدع، كما تفردت بفروسية الاختيار للذات المحبوبة، فذات الفارس عنترة عند اختيارها قسيمها ونصفها الآخر لم تختر اختيارا عاديا لأنثى عادية توافقها مجتمعيا أو واقعا معاشا يواكب واقع وظروف وضيق أفق، أو حتى تنتمي إلى طبقت التي أقرها المجتمع وفرض علي العبودية، بل تمازجت تلك الذات المحبة وتماهت مع عبلة ابنة السادة، عبلة الذات المعاندة، ولذا حرص على تأكيد اكتمالية الإضمار؛ فأتبع الإضمار بالكتمان ، ولم يكتف عنترة بقوله / سأضمر وجدي في فؤادي / بل أتبعه بتأكيد ذلك من خلال الترادف التابع له في قوله / وأكتم / ليضمن قمة الإسرار وتماميه عدم الإفصاح، مهما ترتب على الكتمان من مكابدة وسهد وهو النتاج الحتمي للذات المتكتمة فقال / وأسهر ليلي والعواذل نوم / ولا يسهر الليل إلا كل مكلوم مهموم، ولا ينام إلا الوشاة اللوم.

أما مطامح المحب الفارس فهي تصب في بوتقة المستحيل بعيد المنال، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، وطموح عنترة من الدهر ما يصعب نوال / وأطمع من دهري بما لا أنال / بيد أن إصراره وشخص العنيد يلح على بالتحمل من أجل الإدراك والنوال وإن كلف ذلك ما لا يطيق من الخسف والمهانة التي لا تنطبق على شخصية أو تتماهى مع شخص وروح الأبية فيضاعف ويصعد حس المعاناة والتحدي ويفاقم الصراع في عالم عنترة، صراع الذات بين الخسف والإباء من جانب وصراعهم جميعا مع ذات الآخر المتجبرة بلا هوادة ولا رحمة/ فيقول:

/وألزم من ذل من ليس يرحم / ولأن المتغيب أقوى، ولأن الهدف أسمى؛ فلا ضيم إن بذل الغالي من أجل الأغلى، بذل العزة من أجل العزيز الأعز / يقول: .

[1] **مندور، محمد، فن الشعر ، ١٩٧٤ الهيئة العامة للكتاب: القاهرة، ط١، صـ ١١٥.**

/ وأرجو التداني منك يا ابنة مالك / هي ثقافة التحدي للمستحيل إذن متمثلة في الخنوع النفسي ومواجهة الآخر المتجبر، يقابلها الإصرار على التداني الذي دون نيران الحرب المضرمة / ودون التداني نار حرب تضرم / ولأن الواقع معاند ولأن الآخر أكثر معاندة يحاول عنترة كبح جماح الذات شيئا فشيئا، لعل نوع من الدبلوماسية في المواجهة، أو لون من ألوان الترويض لعجلة التحدي لتلك الذات الطامحة في النوال يفعلها عنترة بتدرج متقن، ولذا انمار عنترة الإنسان بالقدرة على إدارة ذات حسب الممكن والمقدور وهذا ما ألجأه إلى الهروب من الواقع المحجل إلى الخيال الوفر المقيل في قول :

فمني بطيف من خيالك واسألي إذا عاد عني كيف بات المتيم

يشكل اللجوء إلى الخيال ثقافة تحدي ووسيلة حماية، ويضحى الهروب بالخيال إفلاتا من أسر الواقع المحجل والمحال، فينفسح المجال أمام عالم الطيف كوسيلة بديلة عن عالم الواقع وتعقد أواصر التلاقي الممنوع الذي يحول الواقع دون تحقق، فيمثل حلقة وصل بين الذات المحرومة لعنترة وذات المحبوبة الراغبة، يتبادلان الحوار والأسئلة والأجوبة من خلال التلاقي عبر الطيف وتتجلى أدوات الاستفهام وألفاظ / واسألي / كيف بات المتيم / ومن خلال النهي والنفي / ولا تجزعي إن لج قومك في دمي / فمالي بعد الهجر لحم ولا دم / محاولا أن يستدر عبر ذلك كل الاستعطاف حين يؤكد تداعيات الحرمان على ذات التي براها النحول والذبول بعد الهجر/ فلم يبق ل لحم ولا دم / ثم يعاود استفسارات التي تضفي على عالم الخيال ايماءات بالقرب والتداني حيث الاستفهام يتوج من الذات إلى الآخر وجها لوج، رغبة في استحضاره واستقطاب إلى عالم الخيالي لعل يثلج بعض أشجان ويهدئ من روع ذات النائحة التي تعلمت منها الحمائم كيف تنوح / فيقول :

أَلَم تَسمَعي نَوحَ الحَمائِمِ في الدُّجى فَمِن بَعضِ أَشجاني وَنَوحي تَعلَّموا

ويواصل عنترة استدعاء دواعي الاستعطاف واستدرار الترقيق من قبل ذات الآخر المستعصية فخاطب حبيبته عبلة عبر عالم الخيال قائلا:

ولم يبقَ لي يا عَبلَ شَخصٌ سـوى كَبِدٍ حَرَّى تذوبُ فأسقَمُ
وتلكَ عِظامٌ بالياتٌ وأَضلعٌ على جِلدِها جيشُ الصدودِ مُخَيَّمُ

وحده العشق قادرا على المستحيل، فسلطان أقوى من كل سلطان، وجبروت أعتى من كل جبروت، "عنترة بن شداد" فارس الحروب والفلوات قاهر العدو والفرسان صيره العشق والحرمان عزيز قوم ذل ولم يرحموه، مال بعد الهجر لحم ولا دم، لم يبق ل سوى نفس تذوب وتعتل/ كبد حرى تذوب فأسقم / عظام باليات وأضلع / على جلدها جيش الصدود مخيم/

ولا يعني الصراع بين ذات الشاعر المكابدة وبين الواقع المعاند إضعاف أو تقليل حس التحدي والتجلد، بل هو دليل داعم لفرط المعاناة وقوة الجلد لتلك الذات المتحملة لصنوف الألم والحرمان رغم أنه " كان جريئا شديد البطش وكان مع شدة بطش، لين الطباع حليما، سهل الأخلاق لطيف الحاضرة، وكان من أشد أهل زمان وأجودهم بما ملكت يداه، وكان سمحا أبي النفس لا يقر على ضيم ولا يغمض على قذى" [١]

ومثل تلك الذوات بسماتها لا تجتنى سوى التوجع والأسى، مما حملها على استدعاء الطيف واللجوء إلى الخيال وسيلة من وسائل المقاومة الدفاعية الداعمة للبقاء والاستمرارية والتحدي حتى تبلغ الذات مبتغياها يقول:

وَإِن عِشتُ مِن بَعدِ الفِرَاقِ فَمَا أَنَا كَمَا أَدَّعِي أَنِّي بِعَبلَةَ مُغْرَمُ
وَإِن نَامَ جَفْنِي كَانَ نَوْمِي عُلالَةً أَقُولُ لَعَلَّ الطَّيفَ يَأْتِي يُسَلِّمُ

استعمل عنترة تقنية الهروب من الواقع ليختبئ بعشق خلف جدار الوهم، اختباء تحيز للفرص وحصافة وحماية، لا اختباء تخاذل واستسلام. وللصور الخيالية دَو ر لا يبارَى في التلذذ بذوق الشعر؛ ذلك أن الخيال يفتح الآفاق أمام النفس البشرية، فلا تشعر بالملل من الوجود جراء ما ترى من مفردات كل يوم وكل ساعة، حيث يتعامل مع أشياء أكثرَ مؤاتاة وطواعية وفي التجلد المضمر أيضا يقول ":[٢]

[١] **الغلايني، مصطفى، ١٤٦٤هـ، رجال المعلقات العشر، ط٢، المكتبة الشاملة للنشر، صـ ٤٤.**
[٢] **. عنترة، الديوان، مرجع سابق، صـ ٢٧، ٢٦**

إذا كانَ دَمعي شاهِدي كَيفَ أَجحَدُ ونارُ اشتِياقي في الحَشا تَتَوَقَّـدُ
وَهَيهاتَ يَخفى ما أُكِنُّ مِنَ الهَوى وَثَوبُ سِقامي كُلَّ يَومٍ يُجَـدَّدُ
أُقاتِلُ أَشواقي بِصَبري تَجَلُّـدًا وَقَلبيَ في قَيدِ الغَرامِ مُقَيَّــدُ
إِلى اللَهِ أَشكو جَورَ قَومي وَظُلمَهُم إِذا لَم أَجِد خِلًّا عَلى البُعدِ يَعضُدُ
خَليلَيَّ أَمسى حُبُّ عَبلَةَ قاتِلــي وَبَأسي شَديدٌ وَالحُسامُ مُهَنَّــدُ
حَرامٌ عَلَيَّ النَومُ يا اِبنَةَ مالِــكٍ وَمِن فَرشُهُ جَمرُ الغَضا كَيفَ يَرقُدُ
سَأَندُبُ حَتّى يَعلَمَ الطَيرُ أَنَّنــي حَزينٌ وَيَرثي لي الحَمامُ المُغَرِّدُ
وَأَلثِمُ أَرضًا أَنتِ فيها مُقيمَــةٌ لَعَلَّ لَهيبي مِن ثَرى الأَرضِ يَبرُدُ
رَحَلتِ وَقَلبي يا اِبنَةِ العَمِّ تائِــهٌ عَلى أَثَرِ الأَظعانِ لِلرَكبِ يَنشُـدُ
لَئِن يَشمَتِ الأَعداءُ يا بِنتَ مالِكٍ فَإِنَّ وِدادي مِثلَما كانَ يَعهَــدُ

العاطفة الجياشة الصادقة تضفي على الشعر اقتدارا وتختلق من الشاعر ترجمانا وناقلا أمينا للواعج الذوات الواله والمفعمة بتباريح الهوى، كما تمكن صاحبها من إخراج مكنوناته وما تنطوي عليه ذاته من غياهب الإضمار وقتامة الانغلاق النفسي داخل عوالم الكتمان والكمد والإضمار إلى رحابة الانعتاق حيث التنقيث والتصالح مع الواقع والأحداث والأشخاص.

فقد سما بشعره وخلد ذكره، فهو يعي متى وكيف يجسد العاطفة برقة اللفظ الذي السحار للعقول، ودقة المعنى الذي خلب الألباب وقصد الدلالة في مبتغياها "وقد استدعت تلك المكارم تمني النبي الكريم رؤية فقال: ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة " [1] حين تحتدم العاطفة وتتقد فكيف للدمع أن يخمدها قل أو كثر، فالدمع وإن كشفت دلالات عن الإخماد والتهوين إلا أن دلالة الاتقاد والاشتياق في الحشا أقوى وألهب

إِذَا كَانَ دَمْعِي شَاهِدِي كَيْفَ أَجْحَدُ وَنَارُ اشْتِيَاقِي فِي الْحَشَا تَتَوَقَّدُ

[1] **الأصفهاني، أبو الفرج، ٢٠١٦م، ١٤٣٨هـ، الأغاني ج٨، تحقيق د/ إحسان عباس وآخرين، ط ٢ بيروت: دار صادر للنشر، صـ ٢٤٠.**

وقد برع عنترة في تأكيد سطوة الاتقاد من خلال تكثيف الألفاظ الدالة علي في / نار / اشتياق / تتوقد / مقابل قول / دمعي شاهدي / لا سيما وأن الشوق في الحشا كان مضمرا فضاعف حس التوجع والإيلام.

ويمثل الإضمار لونا من الاعتقادية ومضاعفة الشوق وإلهاب نيران، ولذا لم يقو الدمع على التهوين والإخماد فوهنت دلالة أمام دلالة الشوق المتقد، وتجلت سطوة الاتقاد التي حملت ذات عنترة على عدم القدرة على الإخفاء للاتقاد المضمر وإن هون الدمع؛ فصرح بمحدودية دلالة تهوين الدمع من خلال الاستفهام الاستنكاري حين قال / وكيف أجحد / وكان ذلك أجدى من المكابدة والمجاهدة للنفس وهنا تتجلى ثقافة التحدي في تحمل اتقاديه العشق والتجلد والمجاهدة للذات والمعاودة للعشق رغم المعاناة.

وما دام العقل لم يفتر والبدن لم يخمد والإحساس لم يتبلد فالذات قادرة على اختلاق ثقافة مواصلة التحدي يؤججها تدفق العاطفة وعمق الإحساس فيسمو الغرض ويشرف الهدف وتنساب الألفاظ سلسة في ينبوع ثر صاف من العواطف الجياشة المتدفقة فيقول:

وَهَيْهَاتَ يُخْفِي مَا أُكِنُّ مِنَ الْهَوَى وَثَوْبُ سُقَامِي كُلَّ يَوْمٍ يُجَدَّدُ

ولم تعد الذات قادرة على الإضمار مما يصعد حس الصراع بين الإظهار والإضمار وكان نتاج هذا الصراع تأجج عاطفة العبسي وإن اعتمدناه الفارس المقدام لكن العشق وعاطفيا " كان عنترة حلو النفس، رقيق القلب، قوي العاطفة، جاء ذلك من أن عز بعد ذلة، وتحرر بعد رق قهو قد تألم في طفولة وصباه، واحتمل الأذى في شباب وأي أذى، هذا الذل يداخل التنفس ويختلط بها اختلاطا، فيصفي عواطفها تصفية، ويلطف مزاجها تلطيفا " [1]

يقول / هيهات يخفى ما أكن من الهوى / وفي سطوة لدلالة الإظهار لكن يعادلها بإعلاء سطوة الإضمار ثانية فيقول: / وثوب سقامي كل يوم يجدد/ فكان السقم نتاجا حتميا لسطوة اتقاديه الإضمار يوطده قول:

أُقَاتِلُ أَشْوَاقِي بِصَبْرِي تَجَلُّدًا وَقَلْبِي فِي قَيْدِ الْغَرَامِ مُقَيَّدُ

[1]. حسين، طه ٢٠١٢م، حديث الأربعاء، ج١، مصر، دار المعارف، صـ ١٥٠

وهنا تنكشف قوة ثقافة التحدي بالصبر ومصارعة الشوق ومن خلال الألفاظ الداعمة للقوة والتجلد رغم التقيد بالغرام، ولذا كان " شعر العرب كلي وجداني ينزع عن العاطفة ويمنح عن الوجدان فهو شعر غنائي بالصبغة الأولى، فعندما تهيج عاطفة الشاعر ويلذع الشوق قلب.

ويضطرم وجدان ينسكب الشعر على لسان أرسالا" [١]

ويلج عنترة في غيابات الاتقاد إذ العدو ليس ندا وإلا نال من وصرع حين صارع، لكنها الثقافة المجتمعية أقرها الواقع المحتوم، تحول دون عزم وعزيمة المتقدة فتسلم تارة للتحدي المعلن وأخرى للشكوى إلى من هو أقوى من كل قوي فيدلل على إباء وشمم في التشكي فلا يشكو إلى بشر بل إلى رب البشر ويعد ذلك تجاوزا وتحديا لثقافة التوسط المجتمعية بالسيد أو بالآخر خليلا كان أو قريبا أو أبا قائما على أمر المحبوبة يقول:

إلى الله أشكو جور قومي وظلمهم إذا لم أجد خلا على البعد يعضد

وعنترة دائما حين ينقل لنا حدثا أو عاطفة فهو ناقل أمين لهما من الواقع ومجريات الأحداث وهذا ما يسمى بواقعية الموضوع والإحساس "فإذا أراد عنترة أن يتحدث أخذ موضوع شعره من واقع أحداث وصور في واقع حيات واستعان بواقع ما يجري في الحياة فيخرج لنا وصفا واقعيا يتسم بصدق النقل عن الحياة وتناول الجزئيات والحرص على التفصيل والرقة في التعبير"[٢]

مما ألجأ تلك الذات إلى الصراع والمكابدة والولوج في أسر الشكوى يقول:

خليلي أمسى حب عبلة قاتلي وبأسي شديد والحسام مهندي

ولجت ذات عنترة في حالة من الاتقاد والاحتراز فذات لم تألف الاستعصاء ونفس لم تعد تقوى على الحرمان، وإن هذا لأمرا مشينا لو وقع في قبيلة عربية لكان أوسع بابا للهجاء وأشده وقعا على رجالها أهل الغيرة الشديدة على النساء" [٣]

/حرام على النوم يا ابنة مالك ومن فرشه جمر الغضا كيف يرقد /

---

[١]. صبح، علي، ٢٠٢١، في النقد الأدبي، ط٢، المكتبة الشاملة للنشر، صـ ١٨.

[٢] بروكلمان، كارل، د.ت، عنترة وعبلة بين الحقيقة والخيال، ط١، مصر، دار المعارف، صـ ١٠٩

[٣]. الحراحشة، أحمد، د. ت، عنترة وعبلة بين الحقيقة والخيال، ط١ الأردن، صـ ٤.

ولطالما لجأت ذات عنترة إلى استقطاب عالم الطير في التشكي والذي إن دل فإنما يدل على توافق الرقة في المشاعر بينهما ومدى التآلف بين أرواحهما المتناغمة حنوا ودماسة ورقة

/ سأندب حتى يعلم الطير أنني حزين ويرثي لي الحمام المغرد /

ومن اللافت للنظر في شعر عنترة كثرة المتناقضات الحسية والمعنوية فهو وإن واصل الفخر بفروسية وشجاعة إلا أن دائم الإفصاح عن وهن وضعف تحمل لفراق حبيبة " عبلة " فنجده الأبي العزيز في معارك ونجده الذليل الخانع في عشق ولا تعارض بينهما، فعنترة مفخرة

الشجعان والعشاق في صدق العزم وصدق العواطف، " ولا غرابة إن كان عنترة أحد أغربة العرب الثلاثة إلا أنه كان من أشد أهل زمان وأجودهم بما ملكت يداه وكان لا يقول من الشعر إلا البيتين والثلاثة حتى ساب رجل من بني عبس، فذكر سواده وسواد أم وإخوة وعيره بذلك وبأن لا يقول الشعر، فقال عنترة : والل إن الناس يترافدون بالطعمة، فما حضرت مرفد الناس أنت ولا أبوك ولا جدك قط، وإن الناس ليدعون في الغارات فيعرفون بتسويمهم، فما رأيناك في خيل مغيرة في أوائل الناس قط، وإن اللبس ليكون بيننا، فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك فيصل، وإنما أنت فقع نبت بقرق، وإني لأحتضر البأس وأفي المغنم وأعف عن المسألة وأجود بما ملكت يدي وأفصل الخطة الصمعاء وأما الشعر فستعلم". [1]يقول :

/ وألثم أرضا أنت فيها مقيمة لعل لهيبي من ثرى الأرض يبرد/

ولا تزال نفس عنترة قادرة على التحدي رغم ذلك كل يوزعها كبرياء الفارس وخنوع العاشق وتنبثق من خلالهما تلك الثقافة التي تمكن من مواصلة التجلد والحفاظ على التودد متمثلا في الود والهيام رغما عن الشامتين والعذل من الأعداء.

/ لئن تشمت الأعداء يا ابنة مالك فإن ودادي مثلما كان يعهد/

[1]ـ معلقات العرب، د بدوي طبان، مكتبة الأنجل والمصرية للنشر، ط١ ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م، صـ ١٧٧.

الفصل الثاني: ثقافة التحدي بين عذرية العشق وإظهار التودد

لا يقتصر التحدي على تعنيف الذات المتحدية وجلدها بالإعراض والتجاوز، أو كبح جماح المرغوب وتحجيم في دائرة التردي والتراجع. بل يتجلى أحيانا في التطويع والتودد

والمقاربة؛ لتتمكن الذات من خلق هذا الجسر الممتد بينها وبين الآخر المعاند المستعصي لتتجلى حصافتها واقتدارها على التحدي من خلال التودد لعل ذلك يوهن حدة آلام النفسية وأحاسيس الداخلية وقد أبان عن ذلك مستدعيا دلالة الحوار والنداء وما تضفي دلالاتهما من حركية وحيوية في النص الشعري ليجسد الحب العذري الطاهر "فقد تكاملت الفروسية عند عنترة، فلم تصبح فروسية حربية فحسب، بل أصبحت فروسية خلقية سامية، فيها الحب العفيف الذي يجعل من المحبوبة مثلا أعلى ويرتقي صاحب عن الغايات الجسدية الحسية إلى غايات روحية تنم عن صفاء النفس ونقاء القلب، وفيها التسامي عن الدنايا والنقائص التي تملأ الأنفس أما ذات فمفعمة" بالأنفة والإباء والعزة والكرامة والحس المرهف والشعور الدقيق"[1] يقول : [2]

أَلا يا عَبلَ قَد زادَ التَصابــي ... وَلَجَّ اليَومَ قَومُكِ في عَذابـي
وَظَلَّ هَواكِ يَنمو كُلَّ يَــومٍ ... كَما يَنمو مَشيبي في شَبابـي
عَتَبتُ صُروفَ دَهري فيكِ حَتّى ... فَني وَأَبيكِ عُمري في العِتابِ
وَلاقَيتُ العِدا وَحَفِظتُ قَومــاً ... أَضاعوني وَلَم يَرعَوا جَنابي
سَلي يا عَبلَ عَنّا يَومَ زُرنــا ... قَبائِلَ عامِرٍ وَبَني كِــلابِ
وَكَم مِن فارِسٍ خَلَّيتُ مُلقــىً ... خَضيبَ الراحَتَينِ بِلا خِضابِ
يُحَرِّكُ رِجلَهُ رُعبًا وَفيــهِ ... سِنانُ الرِمحِ يَلمَعُ كَالشِهــابِ
قَتَلنا مِنهُمُ مائَتَينِ حُــرًّا ... وَأَلفًا في الشِعابِ وَفي الهِضابِ

[1]- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) د شوقي ضيف دار المعارف ١٩٦٠م، ط ١ صـ ٣٧٤

[2]. ديوان عنترة العبسي صـ ١٤

يعد جنوح المطامح نوعا من ثقافة التحدي للواقع المعاند، سواء كان المعاند متمثلا في الآخر أو المقومات، وقد أبان عنترة عن ذلك عبر التودد بالعتاب واستدرار عواطف الآخر وهو يخاطب "عبل" بعدما بلغ الشوق مداه وتصاعد الحزن إلى منتهاه، ومما زاده ألما وتوجعا أن بواعث عذاب من لدن قوم وعمومة ؛ فعنترة الفارس لم يبرح الهوى ولن يقلع فؤاده عن التشبث بحبيبة وابنة عم تمثل "عبلة "سر الوجود وسر ثقافة التحدي عند عنترة ؛ ولذا أورد أداة الاستمرارية مقترنة بالهوى وتنامي داخل فؤاده، ليعلي حس التصعيد للتحدي والترقي في العشق

وظل هواكِ يَنمو كلَّ يومٍ كَما يَنمو مَشيبي في شَبابي

لقد حاول عنترة الخروج من بوتقة الدوائر المنغلقة في مجتمع لا يدعم إلا الطبقية ولا يتصيد في من لم ينعم بالحرية ، محاولا أن يغير ثقافة مجتمع، عبر انفتاحات على عالم التودد للمستقبل من خلال / المشيب / لخلق نوع من ثقافة التحدي التي لم يقو عليها إلاه حين نمى عشق وهواه/ كما ينمو مشيبي في شبابي / فاستدعى المشيب ليعجل بالمستقبل المأمول وليتمكن من عبور الحاضر المعاند، طالما كان الشباب لا يمنح سوى الاستعصاء والحرمان وفي تلك الدلالات هروب من الواقع وإفلات من أسره إلى عالم التطلع فحاول العبوري نسق ثقافي يروض من خلال الواقع فاستدعي المشيب ضمنيا بدلالات الإيجابية لا السلبية حيث ينطوي على الحكمة والتجاوز والاتزان والولوج إلى نهاية الصراع مع الماضي والحاضر، وإن كان ظاهر المشيب وهن وانقضاء وتبدل، إلا أن يستبطن الاتزان والقدرة على التحدي ومقاربة الإدراك وانقضاء المحروم من ولذا يكتفي بالعتاب كنوع من التصالح واستدرار للود وإظهار التودد مع الدهر رغم إقراره بالحرمان يقول :

/عتبت صروف دهري فيك حتى فني، وأبيك، عمري في العتاب/

وحتى يصعد عنترة حس التودد وإعلاء سطوة المنح رغم المنع يكشف عن ذات القادرة على ذاك المنح من خلال فروسية ضد العدى رغم المنع من قبلهم وتضييعهم لحقوق، مما يؤكد اقتداره على ثقافة التحدي للممنوع وتأكيد الإلغاء لثقافة العين بالعين والمثل بالمثل، فإذا ب يبرز ذلك ويؤكده من خلال دلالة الأضداد بين / حفظت قومي / يقابلها / أضاعوني /

ولم يرعوا جنابي / ولاقيت العدى وحفظت قومـا أضاعوني ولـم يرعوا جنابي / وراح يضاعف حس التحدي لثقافة مجتمع التي تعتمد العين بالعين فإذا ب ينقل صوره الحية الواقعية التي تدعم تحدي وتجاوزه للعداوة مقابلا ومعادلا للمنع والحرمان المحقق من قبل قوم، فيصول ويجول في ميدان الفروسية مؤكدا استحقاق للمنح ومعلنا عن تحدي للمنع حين قابلوا المنح بالمنع والإحسان بالإساءة . لكن مكانة المحب المحسن ليس قلب مجتمع غاشم بل قلب عبلة ابنة عم المحبة العفيفة بنفس العفة التي تحلى بها المحب وقد عرف الخليل العفة بأنها " الكف عما لا يحل ... وامرأة عفة بينة العفاف والعفافة" [1] ويقول عنترة:

سلي يـا عبل عنـا يوم زرنا قبـائل عـامر وبني كـلاب

وكـم من فـارس خليت ملقى خضيب الراحتين بلا خضاب

اجتمع في "عنترة العبسي " تفوق الفروسية ونبوغ الشاعرية، فلم يكن الشعر لدي مجرد تزجية فراغ وتسلية وترفي، بل كان الحيوية والحركية التي تفعل متطلبات القبيلة وتؤكد كيانها ووجودها من خلال الشعر وفرسان، ولذا صال عنترة وجال وقال في الفروسية الحربية والشعرية بكل ما أوتي من قوة واقتدار ولذا يفاخر بذلك فخر الواثق لحبيبة عبلة مصورا لها نزال مع القبائل من / بني عامر، بني كلاب/ وغيرهم الكثير، وكيف حصد الرقاب واجتاز الصعاب، ودائما يؤكد كثرة سبق باستحضاره دلالة الكثرة والتعدد مقترنة بالانتصارية والنيل من الآخر فيقول :

/ كـم من فـارس خـليت ملقى خضيب الراحتين بلا خضاب/

يتبع بالتصوير والتكثيف اللفظي الداعم مجسدا الهول والرعب الذي انطوت على ذات الآخر المنهزمة أمام ذات فارس العرب فيقول:

/ يحـرك رجـل رعبا وفي سنـان الرمـح يلمـع كالشـهاب /

[1] **الفراهيدي، الخليل، ٢٠٠٣م، معجم العين، ج3، تحقيق د/عبد الحميد الهنداوي، ط٢ دار الكتب العلمية للنشر، صـ ٢٩٨.**

وهنا يظفر " عنترة بمقومات الفروسية والشعرية فيخترق أغلب أفئدة العرب دون غيره، وينتهج لذات منهجا يحدد في معالم ثقافة التحدي. فنجده يؤكدها تارة من خلال صراع من أجل الحرية وأخرى عبر النفع العام لقبيلة وعمل الدؤوب على تحقيق وجوده وتأكيد كيان المسلوب عنوة والمحكوم بثقافة مجتمع العقيمة الغاشمة.

وتتضح ملكة عنترة في تبيان قوة الكلمة الشعرية في إجلاء ذلك كل حيث يعد " الشعر استكشاف دائم لعالم الكلمة، واستكشاف دائم للوجود عن طريق الكلمة " [1] يقول: [2]

يا ريحُ لَولا أَنَّ فيكِ بَقِيَّةً مِن طيبِ عَبلَةَ مُتُّ قَبلَ لِقاكِ

كَيفَ السُلوُّ وَما سَمِعتُ حَمائِمًا يَندُبنَ إِلّا كُنتُ أَوَّلَ باكـي

بَعُدَ المَزارُ فَعادَ طَيفُ خَيالَها عَنّي قِفارَ مَهامِهِ الأعناق

يا عَبلَ ما أَخشى الحِمامِ وَإِنَّما أَخشى عَلى عَينَيكِ وَقتَ بُكاكِ

يا عَبلَ لا يَحزُنكِ بُعدي وَابشِري بِسَلامَتي وَاِستَبشِري بِفَكاكـي

ويواصل تصعيد ثقافة التحدي من خلال رفض الواقع الحائل بين وبين حبيبة " عبلة " وذلك عبر التشبث بالأمل ورفض الاستسلام للفناء الروحي والعاطفي فتتجلى دلالة الريح واستقطاب الري الروحي بتسنم ريح المحبوبة وعبق أنفاسها الذي تحمل إلي الريح، ويكون النداء هو الوسيط المستحضر لريح الآخر فيقول : / يا ريح لولا أن فيك بقية من طيب عبلة مت قبل لقاك ويعد تنسم طيب ريح حبيبة إكسير للحياة؛ وباعثا على البقاء وهذا ما حال دون فناء إنها ثقافة التحدي في شكل من شكول التودد الذي يدعم تشبث بعشق وتحدي للسلو مستنكرا إياه في الاستفهام بقول:

كيف السلو وما سمعت حمائما يندبن إلا كنت أول باكي

[1] **إسماعيل، عز الدين، ١٩٦٧م، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط١ القاهرة: دار الكتاب العربي، صـ ١٧٣، ١٧٤.**

[2] **. عنترة، الديوان، صـ ٥٨.**

وفي البكاء تنقيث عن تباريح الجراح ومعاناة الحرمان ولأن الألم متفاقما والتوجع متراكما كان داخل الذات المعتصرة تصدر تلك الذات صفوف الباكين فكان عنترة / أول باكي /

وفي التنقيث ثقافة تحدي وتودد للاستمرارية والتواصل، أما الكتمان ففي الكمد والإقرار بتعجيل الانتهاء، ولذا لجأت الذات إلى التنقيث بالبكاء، وكذلك الطيف والخيال يحمل كلاهما دلالات التحدي ففيهما ثقافة التطبيب للذات المحرومة بعدما / بعد المزار فعاد طيف خيالها / فكان الطيف هو الري للروح المجدبة المقفرة، والباعث على استقطاب المأمول بعد جدب الواقع ولذا شبه بالقفار والمهام في قول / قفار مهام الأعناق /

ولا تعد الريح وحدها قادرة على حمل إكسير البقاء، بل يتناغم معها منحا دلالة الطيف وما ينطوي علي من إرواء عين المتجلي وتطمين روح المحرومة في الواقع وكأنهما وسيطان لاستقطاب الغاية المستعصية واقعا، جسران للعبور والتجاوز يتحديان ما هو كائن ومحقق للخلوص من قفار التيبس الروحي.

" الخيال الرومانتيكي نتيجة طبيعية للانطواء الرومانتيكي على نفس وطغيان شعوره وعاطفت كي لا يضيق ذرعا بعالم الحقيقة، فيطلق لنفس العنان في أحلام يعوض بها فقده في عالم الناس من حول، ووجد في هذا النطاق إشباعا لآمال، فصار عالم خيال أحب إلي من عالم الحقيقة المحدود، حتى لا يهبط من ذلك العالم الذي خلق لنفس ولو تحققت آمال الحالمة، إذ كان يجد في حلم لذة لا يتخلى عنها. والعجب في أن توحى هذه النزعة بالحزن، لأن الخيال في اتجاهات المختلفة استعاضة عما يريد الرومانتيكيون الحصول على حقيقة. ولكنهم لا يظفرون بما يريدون"[1]

بعد المزار فعاد طيف خيالها عني قفـار مهامـ الأعناق

[1]ـ غنيمي هلال، محمد، د. ت، الرومانتيكية، ط١، القاهرة: مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، صـ ٦٤

وقد حققت الذات المتحدية قدرتها على اجتياح الحتف، مما أوهى حس اليأس والسلب داخل عالم التجلد والتودد، ولذا قرن دلالة السلب بالنفي ليقصيها عن السلبية، باعثا الأمل والتشبث فقال / ما أخشى الحمام / وقال / لا يحزنك بعدي / يتبع ذلك شحذ وترقي للوثب المقترن بدلالات الإيجاب والاستبشار المثبتة يقول:

/وأبشري بسلامتي /، / واستبشري بفكاكي /

وراح يدعم دلالات الإيجابية بالكشف عن مبتغياه حيث /أخشى على عينيك وقت بكاك /باذلا النفيس في سبيل، كنوع من التطمين المزدوج لذات المعشوقة والذي ينعكس تباعا على ذات العاشق فيقول: / سلامتي/ فكاكي /

وتنطوي ذات الفارس الشاعر المحارب على ثقافة التودد، المنطوية تباعا على الإبشار والتأميل ولذا يقول صاحبها / أبشري، واستبشري. / فهو يحملها على الإبشار ويؤصل فيها الاستبشار ليكن طابعها وميسم حياتها في عالم عشقهما، مهما كلف ذلك من مكابرات ليتوسل من خلالها إلى المتغيب المنشود، فنجده تارة يرضى بالإهانة بل بالهلاك وأخرى بالصبر والهجران من أجلها يقول"

وأرضى بالإهانة مع أناس أراعيهم، ولو قتلي أحلوا

وأصبر للحبيب وإن جفاني ولم أترك هواه ولست أسلو

عسى الأيام تنعم لي بقرب وبعد الهجر مر العيش يحلو

ما أقسى الخنوع على كل ذا نفس أبية وروح جسور، فإذا رضيت بالإهانة فهي لمثلها غاية المهانة، إذ لم يعتد مثلها ذلك، ولكنها الغاية الأسمى من كل غاية والأغلى من كل غال، هي عبلة الكيان الأسمى من ذاته وكبريائه. ويعد التغني بالجلد والصبر في شعر عنترة تجسيدا لواقعه المعاصر، وقد أفرد له صوره وتراكيبه الرائعة، فجاء صدق الشعور موافقا لصدق النقل عبر أحاسيسه وآلامه التي تكشف ثقافة التحدي، فتجلى ذلك من خلال الصراع بين المشاعر المتباينة التي تسفر عن اقتداريه الانتصار للغاية، مهما كلف الذات من مكابرات وإكباح للقيم والمبادئ المتأصلة داخلها، فعنترة الفارس المفاخر نجده يرضى بالخنوع في قوله:

/ وأرضى بالإهانـة مع أنـاس / ويضاعف حس التحدي لثقافة العين بالعين من أجل محبوبته، فيغير تلك الأعراف عندما يتعلق الأمر بعشقه الأقوى من كل انتقام، فيرد الإساءة بالإحسان، ويقدم المراعاة النقيض بديلا للإساءة والإهلاك في قوله: / أراعيـهم، ولـو قتلي أحلوا /،

وما أشد قسوتها من ذوات لم تلق سوى المنح والبذل بالروح والنفس/أراعيهم، ولقوتلي أحلوا /

تناغميات متتالية تتجلى عبر تراكمات المتناقضات النفسية التي تتماوج بالعواطف والأحاسيس بين المنح وبين المنع، فإذا بالمنح يبرق عبر المراعاة والرضا والصبر في / أراعيهم، وأرضى بالإهانة، وأصبر، ولم أترك هواه / أما المنع فيتجلى عبر الإهانة والقتل والجفوة والهجر في قول / وأرضى بالإهانة، ولو قتلي أحلوا، وإن جفاني، وبعد الهجر /

أي ذات تلك يا فارس العشق التي ـ حملتها ونوائب الدهر ـ ما لا تطيق الأنفس وأي قدرة تلك على التوسل والتودد من أجل المتغيب، ثقافة التحدي تقف في وق الأعراف من أجل تلك الذات المعشوقة، لعل التودد يصبح وسيلة استقطاب للرضا، ولذا لم يكف عنترة عن إبراز المستقطبات لدلالات التجلد والتودد في قوله : / وأصبر للحبيب / / ولم أترك هواه / / ولست أسلو / يناقضها ردود أفعال الآخر المستعصي الذي حمل الذات مالا تطيق من الإهانة والجفوة والهجر في قوله: / وإن جفاني / وبعد الهجر/ ونتاج ذلك تقريب للنوال وإبدال لمرارة العيش بحلاوته يقول :

/ عسـى الأيـام تنـعم لـي بقـرب وبعد الهجر مر العيش يحلو /

سلسلة مكتملة الحلقات من تحدي ثقافة المجتمع، تجسد عبر الدلالات المقرة بالأسى والتكبد اقتران عشق عنترة بالتوجع والانتحاب رغم فروسيته وجسارة قلبه، وكأن العشق هو القادر وحده على الإخضاع والنيل من كل قلب منت الأقدار بالاستحالة والنوى، فإن " يضفي على خواطره من الخيال ما يحيلها من منطقة الأفكار إلى عالم أوهام القلب الغني بمشاعره وآماله، المفتقر إلى وسائل إخراجها إلى عالم الحقيقة، المكتفي بالحلم بها، ولكن حلم يلهب

الإحساس، ويذكي المشاعر ويوحي بأعظم الأفكار وأجلها خطرا" [1]داروا ظهورهم لقلب التواق ، وروح التي تهفو إلى التحرر من العبودية الطبقية والعاطفية .

" مما يثبت خطأ النظرية المتداولة التي تزعم أن الشعر الجاهلي كان ساذجا بدويا لا غور ل ثم انتقل حينما اختلط العرب بغيرهم من الأعاجم إلى طور أرقى. ولنقل إن الشعر الجاهلي ينافس أي شعر آخر إذا أحسنا قراءة، ولو أحسنا قراءة لبدا أمامنا وافر الحظ من العمق والثراء" [2] فنجده تارة ينفث بالدمع والبكاء على طلل الحبيبة وذكرياتها معها، وهنا يذكر الدكتور مصطفى ناصف مفسرًا الظاهرة الطلية "ليس هذا الفن إذًا. ويقصد المقدمة الشعرية الطلية – ضربًا من الشعور الفردي الذي يعُوَّل في شرح على بعض الظروف الخاصة بشاعر من الشعراء، وإنما نحن بإزاء ضرب من الطقوس التي يؤديها المجتمع، أو تصدر عن عقل جماعي – إن صح هذا التعبير – لا عن عقل فردي أو حالة ذاتية"[3]وامرئ القيس هو الذي جود شعر الوقوف على الأطلال، استحسنتها العرب، واتبعت فيها الشعراء . منها استيقا صحب، والبكاء في الديار، ورقة النسيب" [4]

[1] **غنيمي هلال، محمد، الرومانتيكية، مرجع سابق، ص٥٧**

[2] **. عبد الغاني المصري، محمد، ٢٠٠٢، تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، ط١، الأردن: مؤسسة الوراق، صـ ٢٨**

[3] **ـ ناصف، مصطفى، د. ت، قراءة ثانية لشعرنا القديم، ط1، بيروت، لبنان: دار الأندلس للطباعة والنشر، صـ ٥٠.**

[4] **ابن سلام الجمحي، محمد، د.ت، طبقات فحول الشعراء ج١، تحقيق: محمود محمد شاكر، جدة: دار المدني جدة صـ ٤٦**

الفـصل الثالث: تحدي الثقافة (انكسار العبودية بين جرأة القلب وانتصارية الحرب)

أعانت فروسية عنترة صاحبها على الفكاك من أسر العبودية والانكسار، وإن فرضت على ظروف ومجتمع ألا يحيا حياة السادة والأحرار؛ لكن نفس الأبية وقلب الجسور قد منحاه السيادة عنوة وبلا منازع. وإن أثبتت الحروب جبن الكثيرين فقد كانت شاهد عيان على فروسية عنترة.

بين جرأة القلب وانتصارية الحرب خيط دقيق يتماهى عند نقطة التلاقي بالنصر، وفي كليهما ازدواجية انتصار للذات تتواشج فيها انتصار الكرامة وانتصار العشيرة، وقد جسد عنترة ذلك مرارا وتكرارا في جرأة منقطعة النظير، تارة بالسيف وأخرى بالحرف، متحديا ثقافة عصره غير قانع ولا رادع، حيث ذات الطامعة والطامحة في آن تلك التي لا تسعى إلا للسيادة والإمساك بزمام القيادة وقد كان لها ما تثغيا. تدفعها نحو ذلك مقوماتها التي تؤهلها نحو هذا الترقي والتحدي وإن ذاق من أجل مرار الصاب والسلع.

وعن جرأة القلب وانتصارية الحرب يقول": [1]

دَعني أجد إلى العَلياءِ في الطَلَـبِ ... وَأَبلُغُ الغايَةَ القُصوى مِنَ الرُتَـبِ

لَعَلَّ عَبلَةَ تُضحي وَهـيَ راضِيَةٌ ... عَلى سَوادي وَتَمحو صورَةَ الغَضَبِ

إِذا رَأَت سـائِرَ الساداتِ سائِـرَةً ... تَزورُ شِعري بِرُكنِ البَيتِ في رَجَبِ

يا عَبلَ قومي اِنظُري فِعلي وَلا تَسَلَي ... عَنّي الحَسودَ الَّذي يُنبيكِ بِالكَـذِبِ

إِذ أَقبَلَت حدق الفُرسانِ ترمقنـي ... وَكُـلٌّ مِقـدامِ حَربٍ مـالَ لِلهَرَبِ

فَما تَرَكتُ لَهُم وجهـا لِمُنهَـزِمٍ ... وَلا طَريقـًا يُـنَجّيهِم مـِن العطب

فَبادِري وَاِنظُري طَعنًا إِذا نَظَرَت ... عَيـنُ الوَليـدِ إِلَيهِ شابَ وَهوَ صَبي

خُلِقتُ لِلحَربِ أُحميها إِذا بَرَدَت ... وَأَصطَلي نارَهـا في شِـدَّةِ اللَهَـبِ

[1] عنترة، الديوان، مرجع سابق، صـ١٧، ١٨

بِصارِمٍ حَيثُما جَرَّدتُهُ سَجَدَت لَهُ جَبابِرَةُ الأَعجامِ وَالعرَبِ

وَقَد طَلَبتُ مِنَ العَلياءِ مَنزِلَةً بِصارِمي لا بِأُمّي لا وَلا بِأَبي

فَمَن أَجابَ نَجا مِمّا يُحاذِرُهُ وَمَن أَبى ذاقَ طَعمَ الحَربِ والحَرَب

فعنترة يستهل قصيده بالألفاظ الدالة على التحدي وذلك من خلال فعل الأمر المقرون بالرفض والرغبة في التنصل والتحرر، وكأنها رغبة في محاولة كسر القيود والإفلات من أسر تلك

العبودية المفروضة على عنوة، مستهدفا إعلان رغبت في التطلع وكبح جماح التصدع فقال:

/دعني أجد إلى العلياء في الطلب/ ولم يكتف الفارس بالجد وحده صوب العلياء لكن يطلب الغاية القصوى من المجد والسؤدد فذات تتمايز عن كل الذوات ولن ترضى بقليل المطامح والأمنيات فقال / وأطلب الغاية القصوى من الرتب/

ثم يكشف عن بواعث تلك الرغبة التي يترأسها رضا عبلة التي تمثل لدي الوسيلة والغاية في آن، فهي وسيلت ودافع الأقوى نحو المجد والعلياء، ووصالها ونوالها والغاية من وراء كل مجد وارتقاء، يقول:

لعل عبلة تضحي وهي راضية على سوادي وتمحو صورة الغضب

إذا رأت سائر السادات سائرة تزور شعري بركن البيت في رجب

قلب الفارس المغوار لا يداخله الجبن ولا يصيبه الوجل، إذ الشجاعة هي ديدنه، والجرأة هي منهجه، فهو دوما وأبدا يتجلى متحلاي بالفروسية سواء على المستوى الإنساني أو على المستوى العاطفي والشاعري أو المستوى الفروسي، والثابت وراء ذلك والمتغيب هي عبلة وإرضائها وكشف كل مكامن القوة في كل المناحيت وعلى كافة الأصعدة، فعلى صعيد الشاعرية يعلن عن فروسيته في ميدان الشاعرية الفذة والتي شهد لها العامة بلا استثناء/ سائر السادات/

/ إذا رأت سائر السادات سائرة تزور شعري بركن البيت في رجب/

ولذا يستنهض عشق عبلة ل معلنا عن اقتداري الشعرية في قول:

يا عبل قومي انظري فعلي ولا تسلي عني الحسود الذي ينبيك بالكذب

فإذا به مدنيا ومناديا قلبها، يا عبل / وبتكرار أفعال الأمر الطلبية والنهي يؤكد بثقة مدى تمكن من ذات في قول: / قومي انظري فعلي ولا تسلي / كما راح يؤكد أن كل ما دون ذلك عن كذبا وحنقا وحسدا هما هو إلا / الحسود الذي ينبيك بالكذب /

وجميعها دلالات ‘إيجاب في عالم عنترة المنشود والمتغيب، ذلك العالم الذي قضى حيات مشيدا ل بشاعرية وفروسية، وقد كان ل ذلك محققا وإن بذل الغالي والنفيس وكابد من أجل إدراك مبتغياه، وعلى مستوى جرأة القلب وانتصارية الحرب يقول:

إذا أقبلت حدق الفرسان ترمقني وكل مقدام حرب مال للهرب

فما تركت لهم وجها لمنهزم ولا طريقا ينجيهم من العطب

فالبطولة جزء من الفروسية والرجولة الحقة تزينها الأخلاق العربية الأصيلة من نجدة وصبر ومن رقة وقسوة ومن إحجام وإقدام كل في مقام وحين وتلك شخصية عنترة وصفات وأخلاق مجسدا إياها واقعا مرئيا ومسموعا وملموسا، مدافع عن ذلك كاه بكل ما أوتي نت قوة وجرأة، لا يتراجع عن ذلك في أحلك المواقف مهما استصعبت حتى التي يهرب فيها المقدام لشدة رهبتها وروع إهلاكيها / وكل مقدام حرب مال للهرب /.

لكن ذات عنترة / ما تركت لهم وجها لمنهزم / ولا مجال للنجاة من قبضة يده وزمام سطوت مؤكدا نفي هذا الإفلات من خلال النفي الصريح المقترن بسلب النجاة في قول :/ولا طريقا ينجيهم من العطب/ ويعاود دعم ثقة في ذات بتكرار استنهاض عبلة وحثها على التيقن من تلك الحقائق عن جرأت واقتداري أمام العدو في سلسلة من الدلالات الموقدة والملهبة لقلبها كالتهاب نيران الحرب واصطلاء أجيجها يقول:

فبادري وانظري طعنا إذا نظرت عين الوليد إلي شاب وهو صبي

خلقت للحرب أحميها إذا بردت وأصطلي نارها في شدة اللهب

ومن الألفاظ الدالة على التحدي والثقة قول / فبادري / وانظري / أما الصور والدلالات الداعمة لتصعيد الاعتقادية عاطفة وحربا فهي / طعنا /.

/.... إذا نظرت عين الوليد إلي شاب وهو صبي / وهي دلالة تؤكد قمة شجاعته وفروسيته ويتجلى هول الرائي لها حيث يصبح من روعها الولدان شيبا وكأنها أهوال القيامة للعدو

يقول: / خلقت للحرب أحميها إذا بردت / وكأن النار تستقى من جرأته، وتستمد فاعليتها من جسارته؛ فهو مصدرها الأصل والأساس إذا برد إلهابها.

وحتما لن يتمخض عن ذلك كله سوى الإفناء والإهلاك لكل من تسول له نفسه المثول أمامه معاديا أو سالبا إحدى حقوق وإن كانت متعلقة بقبيلته التي أدارت له ظهرها مرارا وتكرارا لكنها أخلاق الفارس تأبى عليه التخلي وعدم النصرة والنجدة لبني قومه مهما خذلوه.

/فما تركت لهم وجها لمنهزم ولا طريقا ينجيهم من العطب /

لقد كانت غاية عنترة تغطي بإشراقاتها نظرة المجتمع ل، وإن كانت تمحو في ثقل حالة العبودية والرق التي قبع فيها سنوات عديدة، وكانت بطولات وروسيات تغطي أكبر جزء من مقومات وإمكانيات نحو تحقيق هذا الهدف. فإذا أعلن هذا الفارس عن تلك الذات المحاربة ستسجد ل الأعجام والعرب.

/بصارم حيثما جردت سجدت ل جبابرة الأعجام والعرب /

ولم تمنح له تلك المنزلة اعتباطا ولا مصادفة بل عبر ملكاته ومقوماته عن جدارة واستحقاق لا سيما أنه لم يكتسب ذلك السؤدد إرثا لأمه أو أبيه، بل بجرأته وإقدامه ووقع صوارم.

/ولقد طلبت من العلياء منزلة بصارمي لا بأمي لا ولا بأبي /

ومن أجاب نجا منه وأمن جأشه، ومن لم يجب ذاق الأمرين بين خوف منه أو قتل.

/ فمن أجاب نجا مما يحاذره ومن أبى ذاق طعم الحرب والحرب/

وعلى الصعيد الآخر يتجلى نوع آخر من الجرأة والانتصارية، ألا وهو انتصار الذات على الآخر الحائل دون نوال ودون تحرير تلك الذات المكبلة بالمفروض الغير منصف لتلك الذات مما يدعم تأكيد تلك الجرأة والانتصارية فيقول:" [1]

خَدَمتُ أُناسًا وَاتَّخَذتُ أَقارِبـًا لِعَوني وَلَكِن أَصبَحوا كَالعَقارِبِ

يُنادونَني في السِلمِ يا اِبنَ زَبيبَةٍ وَعِندَ صِدامِ الخَيلِ يا اِبنَ الأَطايِبِ

وَلَولا الهَوى ما ذَلَّ مِثلي لِمِثلِهِـم وَلا خَضَعَت أُسدُ الفَلا لِلثَعالِـبِ

سَيَذكُرُني قَومي إِذا الخَيلُ أَصبَحَت تَجولُ بِها الفُرسانُ بَينَ المَضارِبِ

فَإِن هُم نَسوني فالصوارم والقنـا تُذَكِّرُهُم فِعلي وَوَقعَ مَضارِبـي

تلك ثقافة عاداتهم وقوانينهم التي تحداها عنترة ولم يردعه عن هذا التحدي لتلك الثقافة أحد أبدا، وهو في صراع مع الجميع من حوله أقاربا وأغرابا، ظروفا وواقعا مفروضا، ولذا شبههم بالعقارب في سم عداوتهم له ولسع حديثهم عن سواده وعبوديته وانحطاط نسبه لأمه " زبيبة"

خدمت أناسا واتخذت أقاربا لعوني ولكن أصبحوا كالعقارب

وهو من خلال ذلك كله يجلي تلك الصور والدلالات في انسيابية ومرونة التحكم في زمام ألفاظه ومعانيه بكل بيان وفصاحة ولسن " وما البلاغة إلا تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب، مع ملائمة كل كلام للموطن الذي يقال في والأشخاص الذين يخاطبون، فليست البلاغة قبل كل شيء إلا فنا من الفنون يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري ودقة إدراك الجمال، وتبين الفروق الخفية بين صنوف الأساليب، وللمرانة يد لا تجحد في تكوين الذوق الفني، وتنشيط المواهب الفاترة " [2]

[1] **عنترة، الديوان، مرجع سابق، صـ 17.**

[2] **. الجارم، علي، ٢٠١٨م، البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع)، ط١، مصر: دار المعارف، صـ ٨**

والذات منقسمة ومتوزعة ما بين الثقافات المجتمعية والأعراف وأخلاق العربي كما ينبغي، وبين اعتصاره وتأزم من ثقافة ذلك المجتمع ل يقول:

يبادرنني في السلم يا ابن زبيبة وعند صدام الخيل يا ابن الأطايب

وبين الحرمان المحتم من الحبيبة بحكم تلك الثقافة من جهة حيث قول:

ولولا الهوى ما ذل مثلي لمثلهم ولا خضعت أسد الفلا للثعالب

فروسية عنترة هي التي فرضت على قومه تأكيد تلك الذات المرفوضة والمفروضة، فهي فاعلة التذكير لقوم، وهي فاعلة السيادة والجسارة، ومن خلال الاستعارة تارة والتشبيه أخرى يؤكد عنترة ذلك فيشبه جسارته بالأسد، ويشبه الأعداء بالثعالب الفارة، وقد استدعى عنترة الاستعارة واستعملها كثيرا في غير معناها الحقيقي لوجود علاقة تشبي بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، ووجود قرينة يمنع من إيراد المعنى الحقيقي ويوجب إيراد المعنى المجازي " وقد يلجأ الكاتب أو الشاعر في التعبير إلى أسلوب التشبيه لشعوره بأنه أكثر من غيره في إصابة الغرض ووضوح الدلالة على المعنى" [1] وقد برع الشاعر في توظيف استعاراته وتشبيهاته.

/ ستذكرني قومي إذا الخيل أصبحت تجول بها الفرسان بين المضارب

وهي تمكن من تأكيد هذا الكيان المسلوب من قبل أهله ومجتمعه بأفعال ومواقف.

/فإن هم نسوني فالصوارم والقنا تذكرهم فعلي ووقــع مضاربي/

ويتوالى الصراع من أجل التشبث بتحقيق الوجود ، وإقرار الكيان الضائع لتلك الذات المنطقة المحرومة تارة، والمفعمة بالاعتقادية والتأجج بنيران الفروسية أخرى ، وفي ذلك يتجلى عنترة وقد خرج عن قوم غضبان فنزل على بني عامر وأقام فيهم زمانا، فأغارت هوازن وجثم على ديار عبس وكان على هوازن يومئذ دريد ابن الصمة، فأرسل قيس بن زهير وكان سيد

[1] ـ **عتيق، عبد العزيز، 5041هـ 5881م، علم البيان، د. ت، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، صـ 541.**

بني عبس يستمد عنترة فأبى وامتنع ولما عظم الخطب على بني عبس خرجت إلي جماعة من نساء القبيلة من جملتهن "المجانة بنت قيس" فلما قدمن علي طلبن منه أن ينهض معهن لمقاومة العدو والا انقلعت العشيرة وتشتت شملها فاحتمس ونهض من وقت طالبا ديار قوم يقول: "[39]

سكتُّ فَغَرَّ أعْدَائي السُّكـوتُ وَظنُّوني لأَهلي قَدْ نسِيـتُ
وكيفَ أنامُ عنْ ساداتِ قـومٍ أنا في فَضْلِ نِعْمتِهِمْ رُبيـت
وإنْ دارْتْ بِهِمْ خَيْلُ الأَعـادي ونَادوني أجَبْتُ متى دُعِيـتُ
بسيفٍ حـدهُ يزجي المنايـا وَرُمحٍ صَدْرُهُ الحتـف المُميتُ
خلقتُ من الحديدِ أشدَّ قلبـًا وقد بليَ الحـديدُ وما بليـت
وفي الحَرْبِ العَوانِ وُلِدْتُ طِفْلا ومِنْ لبَنِ المعامـع قَدْ سُقِيـتُ
وَإني قَدْ شَربْتُ دَمَ الأَعـادي بأقحاف الـرُّؤوس وَما رَويتُ
فما للرمحِ في جسمي نصيـبٌ ولا للسيفِ في أعضائي قـوت
ولي بيتٌ علا فلكَ الثريَّـا تَخِرُّ لِعُظْـمِ هيبتـه البُيـوتُ

وتتصارع ذات عنترة الفارس المعطاء، وذات عنترة الإنسان المكابدة، تلك الذات التي تعاني

من الظلم وتمنح الكثير ولا تجتني إلا النكران، فيعلو حس الذات الفارسة المعطاءة وتهيمن على الثانية وذلك عندما تستجيب لنداء العصبية القبلية الجاهلية وتنتفض للذود والدفاع عن العشيرة بعد صمت الأنا المكابدة التي تعاني من الظلم وطول النكران فقال:

سكت فغر أعدائي السكوت وظنــوني لأهلي قـد نسيـت

وهنا تبرز الذات الوفية المقرة بالفضل والامتنان فتلبي نداء النجدة والنصرة آن الاحتياج والاجتياح من قبل العدو؛ ولذا يستنكر بواعث التقاعس والخذلان لهم عبر الاستفهام والإقرار بهذا الفضل يقول: /وكيف أنام عن سادات قوم أنا في فضل نعمهم ربيت/

"وما عناصر البلاغة إلا " لفظ ومعنى وتأليف للألفاظ يمنحها قوة وتأثيرا وحسنا. ثم دقة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال السامعين والنزعة النفسية التي تتملكهم وتسيطر على نفوسهم، فرب كلمة حسنت في موطن ثم كانت نابية مستكرهة في غيره" [١]

/ وإن دارت بهم خيل الأعادي ونادوني أجبت متى دعيت /

بسيف حده موج المنايا ورمح صدره الحتف المميت/

وقد كثر ذكر الحرب وأدوات في شعر عنترة لأن حيات مشمولة بذلك العالم المفعم بالكر والفر والذود والحماية فكان دائم الذكر لها متمثلة في / خيل الأعادي / بسيف حده موج المنايا / ورمح صدره الحتف المميت /

وطالما استعار لقلب القوة المماثلة لقوة أدوات القتال من الحديد بل وفاقت قوة الحديد ذاتها وزاد عليها في القوة فنفى عن ذات البلاء والفناء الذي يؤول إلى كل فان وهالك. مجردا ذات من نيل تلك الأدوات منها،

خلقت من الحديد أشد قلبا وقد بلي الحديد وما بليت

وواصل بخيال صور النيل من الأعداء في دلالات تؤكد تصويره لميدان القتال عبر الحواس المتباينة رؤية وسمعا وذوقا والخيال هو " القدرة التي يستطيع العقل بها أن يشكل صورا

[١] الجارم، علي، البلاغة الواضحة، مرجع سابق، صـ ٩

للأشياء أو الأشخاص أو الوجود. والإنسان والخيال هو الذي ينظم هذه الصور في وحدة متكاملة تفوق ما في الطبيعة، والتصوير نتاج الخيال " [1]

فالرؤية تنبعث من قول :/فما للرمح في جسمي نصيب / ولا للسيف في أعضي قوت /بأقحاف الرؤوس والسمع في / المعامع/ ويتجلى الذوق في /وإني قد شربت دم الأعادي / وما رويت/ ومن لبن المعامع قد سقيت/ يقول": [2]

سَلي يا عَبلَ قَومَكِ عَن فَعالـي وَمَن حَضَـرَ الوَقيعَةَ والطرادات

وَرَدتُ الحَربَ وَالأَبطالُ حَولي تَهـزُّ أَكُفُّها السُمـرَ الصعـاد

وَخُضتُ بِمُهجَتي بَحرَ المَنايـا وَنارُ الحَربِ تَتَّقِدُ اِتِّقـــادا

وَعُدتُ مُخَضَّبًا بِدَمِ الأَعـادي وَكَربُ الرَكضِ قَد خضب الجوادا

وَكَم خَلَّفتُ مِن بِكـرٍ رداح بِصَوتِ نُواحِها تشـجي الفؤادا

وَسَيفي مُرهَفُ الحَدَّينِ مـاضٍ تَقُـدُّ شِفارُهُ الصَخرَ الجمادا

وَرُمحي ما طَعَنتُ بِـهِ طَعينـًا فَعـادَ بِعَينِهِ نَظَـرَ الرشـاد

وَلَولا صارِمي وَسِنانُ رُمحي لَما رَفَعَت بَنو عَبسٍ عِمـــادا

ويفسح عنترة المجال أمام أضداده ليوضح ويبرز المفارقات الداعمة لسطوة ذات، حيث خصائله المهيمنة بالإيجاب في قول:

/ تعيرني العدى بسواد جلدي / / وبيض خصائلي تمحو السوادا/

أما الفروسية وانتصارية الحرب ففي قول:

/ سلي يا عبل قومك عن فعالي/ /ومن حضر الوقيعة والطرادا/

[1] عبد الغاني المصري تحليل النص الأدبي، مرجع سابق، صـ ٢٨

[2] عنترة، الديوان، مرجع سابق، عنترة صـ٢٥.

وإذا وق عنترة الحواس صوب مواد العالم فإنها تتوافق كثيرا مع الماء والتراب والنار تلك المواد التي يتجانس منها عالم الحرب ويتشكل فقال / ليدرك من خلالها التماهي والتمازج مع هذا العالم تكوينا وتشكلا فالماء يتجلى في قول: /وخضت بمهجتي بحر المنايا / أما النار فتتمثل في اللفظ الصريح / ونار الحرب تتقد اتقادا / ومن خلال الكناية في قول / وعدت مخضبا بدم الأعادي/ وكرب الركض قد خضب الجوادا/

وكانت فصاحة عنترة خالية من العيوب التي ينفر منها الذوق وستعجمها العقل " وفصاحة الكلام سلامة بعد فصاحة مفردات مما يبهم معناه ويحول دون المراد من وتتحقق فصاحت بخلوه من ستة عيوب

1. تنافر الكلمات مجتمعة 2. ضعف التأليف 3. التعقيد اللفظي

4. التعقيد المعنوي 5. كثرة التكرار ٦. تتابع الإضافات" [1]

فدم الأعادي والتخضيب به يقترنان بالنار. أما التراب فيتمثل في قوله: / المنايا / وفي المنايا فناء مرتبط بالترابية والعود إلى البدء للخلق من تراب وإلى تراب وفي قول:

/ تقد شفاره الصخر الجمادات/ ويعاود عنترة ذكر الألفاظ المقترنة بالحرب كعادته حين قال:

/وسيفي مرهف الحدين ماض / ورمحي ما طعنت ب طعينا/
ولولا صارمي وسنان رمحي /

وقال عنترة عند خروجه يطلب رأس خالد بن محارب" [44]

أَطوي فيافي الفَلا وَاللَيلُ مُعتَكِرُ وَأَقطَعُ البَيدَ والرمضاء تستعر

[1]. جواهر البلاغة في المعاني والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق، د/ يوسف الصميلين، المكتبة العصرية بيروت، ١٩٩٩م ط ١صـ ٣٢

[44]ديوان عنترة بن شداد ص٣٨

وَلا أَرى مُؤنِسًا غَيرَ الحسام وَإِن قَلَّ الأَعادي غَداةَ الروع أَو كَثِروا

فَحاذِري يا سِباعَ البَرِّ مِن رَجُلٍ إِذا انتـدى سَيفَهُ لا يَنفَعُ الحَـذَرُ

وَرافِقِيني تَـري هامـًا مقلقـة وَالطَيرَ عاكِفَةً تُمسـي وَتَبتَكِـرُ

ما خالِدٌ بَعدَما قَد سِرتُ طالِبَـهُ بِخالِدٍ لا وَلا الجيداء تَفتَخِـرُ

وَلا دِيارُهُمُ بِالأَهلِ آنِسَـــةٌ يَأوي الغُرابُ بِها وَالذِئبُ وَالنَمِرُ

أما دلالات الانتصارية والجرأة فتتجلى في قوله:

/أطوي فيافي العلا والليل معتكر وأقطع البيد والرمضاء تستعر /

/ فحاذري يا سباع البر من رجل إذا انتدى سيفه لا يمنع الحذر/

أما أدوات الحرب فتتجلى في قوله: / ولا أرى مؤنسا غير الحسان /

ويواصل إطلاق العنان لجماح ملكته وخياله الشعري ليستحضر عالم الحرب مفاخرا بذاته ومؤكدا لشجاعته وفروسيته " والخيال لدى الشاعر والفنان عامة هو الذي يتجاوز حدود العقلانية التي تزعم أنها تبرز من خلال تحليل ساذج ومبسط لمكونات الاستعارة أو التشبيه أو الكناية " [1]ومن الدلالات المؤكدة لتخاذل ذات العدو:

/ ولا ديـارهـم بالأهـل آنسـة يأوي الغراب بها والذئب والنمر /.

الخـاتمــة:

[1]عيد، رجاء، د.ت، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، مصر، دار الكتاب العربي، ط٢، صـ ٢٣٧

لقد كان عنترة بن شداد العبسي" عنصرًا فعالًا قدم تجاربا حيةً لها قيمتها في تغيير وتهذيب تلك القيم الغاشمة، في ذلك المجتمع القبلي ، والتي اختلفت سلبًا وإيجابًا على حسب تقاليد وأعراف القبيلة، وإن نال بها كثير من الشعراء مكانة عالية داخل القبيلة وخارجها ، إلا أنها أتت على مطامح آخرين غيرهم، فزادتهم عبودية وحرمانا ، حالت دون مطامحهم وعرقلت مقوماتهم وآمالهم فأتى من خرّقها من الشعراء وخرج عن تلك الأعراف والقوانين التي فرضتها القبيلة على أبنائها لينفسح الميدان أمام كل ذي همة وجلد وشجاعة، لكل صاحب جرأة وقوة سواء كانت قوة شاعرية أو فتوة جسدية، وكان شاعرنا نتاج امتزاج وانصهار لكل تلك المقومات والملكات وتشير سوسيلو ثقافية هذا المجتمع إلى تلك الشفرة الثقافية عبر تربية ولغة التمثيلات والعادات والممارسات الكائنة فيه والتي تمخض عنها فارس الشعر العربي عنترة بن شداد العبسي .

قائمة المصادر والمراجع:

1. الأزهري، الهروي أبو منصور (٢١١١م)، **تهذيب اللغة**، ج٢، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
2. الأصفهاني، أبو الفرج (٢١١٠م / ١٤٣٨هـ)، **الأغاني**، ج٨، تحقيق: د. إحسان عباس وآخرون، ط١، بيروت: دار صادر.
3. إسماعيل، عز الدين (١٢٠٧م)، **الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، ط١، القاهرة: دار الكتاب العربي.
4. بروكلمان، كارل (د.ت)، **تاريخ الأدب العربي**، ج١، ط١، مصر: دار المعارف.
5. التبريزي، الخطيب (١٢٢٢م)، **شرح ديوان عنترة بن شداد**، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي.
6. الجارم، علي (٢١١٨م)، **البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع)**، ط١، مصر: دار المعارف.
7. الجمحي، محمد بن سلام (د.ت)، **طبقات فحول الشعراء**، ج١، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٢، جدة: دار المدني.
8. الحراحشة، أحمد (د.ت)، **عنترة وعبلة بين الحقيقة والخيال**، ط١، الأردن: مؤسسة الوراق.
9. حسن، عزة (١٢٠٨م / ١٣٨٨هـ)، **شعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث**، ط١، دمشق: مكتبة عين الجامعة للنشر.
10. حسين، طه (٢١١٢م)، **حديث الأربعاء**، ج١، ط١، مصر: دار المعارف.
11. الخوري، خليل (١٢٣٧م)، **ديوان عنترة بن شداد**، ط٤، بيروت: مطبعة الآداب.
12. الصباح، محمد علي (١٢٢١م)، **عنترة بن شداد: حياته وشعره**، ط٢، القاهرة: دار الكتب العلمية للنشر.
13. صبح، علي (٢١١٢م)، **في النقد الأدبي**، ط٢، مصر: المكتبة الشاملة للنشر.
14. ضيف، شوقي (١٢٠١م)، **تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)**، ط١، مصر: دار المعارف.
15. طبان، بدوي (١٣٧٨هـ / ١٢٥٨م)، **معلقات العرب**، ط١، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية للنشر.
16. عتيق، عبد العزيز (١٢٨٥م / ١٤١٥هـ)، **علم البيان**، د.ت، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
17. العشماوي، محمد (١٢٧٥م)، **قضايا النقد الأدبي المعاصر**، ط١، الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

18. علي، جواد (١٤٢٢هـ / ٢١١١م)، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٢، ط٤، دار الساقي للنشر.

19. العمري، نادية (٢١١١م)، **أضواء على الثقافة الإسلامية**، ط١، مؤسسة الرسالة.

20. غنيمي هلال، محمد (د.ت)، **الرومانتيكية**، ط١، القاهرة: دار صادر.

21. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (٢١١٣م)، **معجم العين**، ج٣، تحقيق: د. عبد الحميد الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية للنشر.

22. القزويني، أحمد بن فارس (١٢٧٢م)، **معجم مقاييس اللغة**، ج١، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الفكر للنشر.

23. القوسي، مفرح (١٤٢٥هـ / ٢١١٣م)، **مقدمات في الثقافة الإسلامية**، ط١، الرياض: دار الغيث للنشر والتوزيع.

24. المصري، محمد (٢١١٢م)، **تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق**، ط١، عمان: مؤسسة الوراق.

25. مندور، محمد (١٢٧٤م)، **فن الشعر**، ط١، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.

26. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٤هـ)، **لسان العرب**، ج٢، ط٣، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر.

27. ناصف، مصطفى (د.ت)، **قراءة ثانية لشعرنا القديم**، ط١، بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر.

28. نعيم، أنطوان (٢١١١م)، **الهائمون والمتيمون العرب: قصص وأشعار وحكايات**، ط١، لبنان: دار الكتاب العربي.

29. الهاشمي، أحمد (١٢٢٢م)، **جواهر البلاغة في المعاني والبديع**، ضبط وتدقيق: د. يوسف الصميلين، ط١، بيروت: المكتبة العصرية.

30. ويلز، هيربرت (٢١١٥م)، **موجز تاريخ العالم**، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، ط٢، دار الكتب العربية للنشر.